

قصة حادثة للكاتب نجيب محفوظ كان يتكلم في تليفون الدُّكَان بصوت مُرتفع، يُسمَع صوته رغم ضوضاء شارع الجيش الصالِح، وجعل يميل بنصفه الأعلى داخل الدُّكَان ليبعد ما أمكن عن الضوضاء، ثم ختم حديثه بقوله: "إنتظري سأحضر فوراً". كان في الستين أو نحوها، طويلاً القامة تحيلها وروي الجبهة والعينين. مُكَوْر الذقن وأما صلعته فلم يبقَ فوق مرآتها إلا جذور شعر أبيض مثل منابت شعر ذقنه، وقد أفصح مظهره عن إهمال صريح نتيجة للسن أو الطبع أو نسيان للذات، على ذلك كان يتمتع بحيوية مرحة وتلتمع عيناه بنشاط وابتهاج. وبدأ أنه ينظر إلى الداخل لا إلى الطريق ثم مال يمنة بمحاذة صف من اللوريات الواقفة نسق التوار حتى وجد منفذًا إلى الشارع، مرق من المنفذ ليعبر الشارع إلى صفتة الأخرى، وما كاد يجاوز مقدمة اللوري الأخير حتى شعر بسيارة فورد تندفع نحوه بسرعة فائقة. وقال أحد الشهود فيما بعد إنه كان عليه أن يتراجع بسرعة وإنه لو فعل ذلك لنجا رغم سرعة السيارة، ولكنه لسبب ما لعله المفاجئة أو سوء التقدير وثبَ إلى الأمام وهو يهتف "يا ساتر يارب" وجرت الحوادث متلاحقة، ندت عن الرجل صرخة كالعواء وفي ذات الوقت انطلقت صرخات الفزع من المارة الواقفين على التوار، وفوق إفريز محطة الترام صدر عن فرملة الفور صوت محشرج متشنج ممزق وهي تزحف على الأرض بعجلات متوقفة جامدة وهرع نحو الضاحية في ثوان عشرات وعشرات كأسراب الحمام، حتى تكون منهم سور غليظ منيع وانتشر في المنطقة الهرج، ولم ينبع جسم الرجل بحركة واحدة، وكان منكفاً على وجهه ولا يجرؤ أحد على لمسه وإندي رجله ممدودة إلى آخرها والأخرى منثنية منحرسة البنطلون عن ساق نحيلة غزيرة الشعر، وقد فقدت حذائهما، وكان الأمر لا يعنيه البتة. الرجل وهو يرتفع في الفضاء امتاراً ثم يهوي فوق الأرض كشيء، أندفع هو من أمام اللوري فجأة، وبسرعة وبدون أن ينظر إلى يساره كما يجب، وإذا لم يجد وجهها مستجيهاً عاد ليقول بلهجة خطابية: "لم يكن بإمكانني تفادي الصدمة". حي، لعلها إصابة بسيطة" لكنه طار في الهواء والعياذ بالله" ولو عفو ربنا كبير، لا يوجد دم؟" عند فمه انظر". كل ساعة حادثة من هذا النوع وجاء شرطي مسرعاً وفتح له وقع قدميه ثغرة في السور الآدمي، نفذ منها وهو يصبح في الناس أن يبتعدوا خطوات. خطوات فقط وعيهم لا تحول عن الرجل ولا تخفي حدة تطلعها وإشفاقها وقال إنسان: "سيبي هكذا حتى يموت ونحن لا نفعل شيئاً" فأجابه الشرطي بلهجة رادعة "أقل لمسة قد تقتله، وبوليس النجدة والإسعاف في الطريق إليه" واعتراض الحادث جانب الطريق واضطربت السيارات إلى الإنلاف حول السور البشري مشاركة الترام في ممشاذه. فضاق بها حتى تحركت في بطء شديد وتجمعت في صفوف ممتدة ومتدخلة وهي تصرخ وتعوي بلا فائدة، ومن ركبها تطلعت أعين إلى الضاحية في اهتمام وأعين تجنبت النظر في جذع وجاء بوليس النجدة وراء صفارته الحلوذنية فاتسعت الحالة وغادرت القوة السيارة إلى الرجل الملقي وكان الضابط حاسماً وحازماً، فأصدر أمراً بتفریق المجتمعين، وتفحص الرجل بنظرة شاملة وسائل الشرطي: "ألم تحضر الإسعاف؟" وإذا لم تكن ثمة ضرورة إلى السؤال فإنه لم يلق بالاً إلى الجواب، وتسائل مرة أخرى: "هل من شهود؟" فتقى ماسح أحذية وسائق لوري وصبي كبابجي كان عائداً بصينية فارغة، وأعادوا على مسمع الضابط ما حدث منذ ما كان الرجل المجهول يتلiven. ثم نهض متوجهاً إلى الضابط فبادره هذا قائلاً: "أظن يجب نقله إلى الإسعاف"، فقال الآخر بلهجة ذات أثر لا يختلف عادة عن الآخر الذي يحدث عن جرس سيارته: "بل يجب نقله إلى مستشفى الدمرداش" وأدرك الضابط ما يعنيه ذلك على حين استطرد رجل الإسعاف قائلاً: "أعتقد أن الحالة خطيرة جداً". وعندما أرقد الرجل بحجرة الفحص في مستشفى الدمرداش، كانت طائنة الليل تزحف كالجبال، ثم التفت إلى مساعدته قائلاً: "إصابة خطيرة في الرئة اليسرى، تهدد القلب مباشرةً" عملية! فهز رأسه قائلاً: "إنه يختضر!" وصدقت فراسة الطبيب فقد تحرك الرجل حرقة شاملة كالرعشة واضطرب صدره اضطرباً متلاحقاً متحسراً، ثم شهق شهقة خفيفة واستكثن، وكان الطبيب يراقبانه، فالتفت المدير نحو مساعدته وهو يقول انتهي. وجاء ضابط النقطة والراجل ما يزال راقداً بكمال ملابسه، عدا فردة الحذاء المفقودة، وقال الطبيب: "هذه الحوادث لا تنتهي"، فقال الضابط وهو يوميء إلى الفقيد: "شهاد الشهود ليست في صالحه"، ودس الضابط يده برفق في جيب الجاكتة الداخلية فاستخرج حافظة نقود قديمة متوسطة الحجم ومضى يفتشها جيباً جيباً، ويملي على الشاويش: "خمسة وأربعون قرشاً من العملة الورقية، روشتة للدكتور فوزي سليمان"، وألقي نظرة عابرة على أسماء الأدوية، ولكنه لاحظ وجود كتابة على ظهرها وجرأه بصره عليها بلا إرادة فإذا بها ويستحسن تجنب المنيهات كالشاي والقهوة والشيكولاتة" وابتسم الضابط ابتسامة باطنية، إذ أن تعليمات شببته صدرت إليه من طبيبه في نفس الشأن، مجلد صغير من الصور القرانية، ولما لم يجد شيئاً آخر في الحافظة قال بضيق: "لا توجد بطاقة تحقيق شخصية"، منديل، ساعة يد، وكان آخر ما عثر عليه صفحة مطوية من كراسه ويسطعها فوجدها رسالة لم تغلف بمظروف بعد، فأملأ أن يصادف فيها ما يستطيع أن يستدل به على شخصية الرجل. نظر أول ما نظر على الإمضاء ولكنه لم يزد عن "أخوك عبد الله"، فعاد إلى رأس الصفحة ولكن الرسالة كانت موجهة "إلى أخي العزيز

أدامه الله" فاستاء من هذه المعاندة ولم يجد بُدا من قرائتها. - "أخي العزيز أدامه الله، اليوم تحقق لي أكبر أمل في الحياة"، أضطر إلى التوقف رافعا عينيه إلى تاريخ الرسالة وكان تاريخ اليوم نفسه ٢٠ فبراير، وامتد بصره فوق الوجه الأسطر إلى الوجه الباهت المشئوب بزرقة مخيفة المغلق كسر، الجامد كتمثال، ذلك الذي تحقق له أكبر أمل في الحياة وتسائل الطبيب عثرت على شيء؟ فانتبه إلى نفسه وابتسم ابتسامة إستهانة ليدل علي اعتياده أي شيء وقال "اليوم تحقق لي أكبر أمل في الحياة" بذلك بدأت الرسالة وعاد إلى القراءة متجنبا النظر إلى عيني الطبيب، انزاحت جميما والحمد لله، أمينة وبهية وزينب في بيتهن،